



المشهد السياسي السوري في انتظار ثلاثة استحقاقات مهمة، اجتماع أستانة 7 (30 و31/10)، اجتماع "الشعوب" السورية في حميميم (يوم 18/11)، اجتماع جنيف 8 (11/28)، بالإضافة إلى مؤتمر الهيئة العليا للمفاوضات، أو الرياض 2، في العاصمة السعودية (10/11)، كل هذا مع إطلاق العنان للحديث عن دوران عجلة إعادة الإعمار، إن بتشكيل شركات ومجموعات استثمارية سورية لهذا الغرض، أو بالإعلان عن توزيع أدوار ومشاريع على الدول الحليفة للنظام، أو بدعوة دول العالم إلى المشاركة في العملية، والحصول على حصة من كعكة إعادة الإعمار الكبيرة (كلفتها بين 200 و350 مليار دولار)، لكن بشرط القبول بالتصور الروسي، ومنطلقه الانفتاح على النظام، في استغلال لإعادة الإعمار في تأهيل النظام وتسويقه، عبر التأثير على مواقف القوى الإقليمية والدولية، وإغواها لإعادة النظر في مواقفها من الأخير.

لكن مواقف القوى الدولية والإقليمية والمحلية، بتصوراتها واقتراحاتها المتباعدة إلى حد التناقض، أثارت أسئلة مشككة بشأن منطقية التلميحات والإعلانات المبكرة عن قرب الحل في سوريا، ومن ذلك تصريح وزير الدفاع الروسي، سيرغي شويغو، إن بوادر السلام بدأت "تلوح" في البلاد. وفي حين تتبع روسيا تحركها ل إنهاء مفاعيل الثورة السورية عبر استبعاد القرارات ذات الصلة، بدأت باستبعاد وثيقة جنيف 1، وقرار مجلس الأمن رقم 2118، عبر تشكيل "المجموعة الدولية لدعم سوريا" وإصدار القرار 2254، لكي تسقط مطلب الهيئة الحاكمة كاملة الصالحيات لإدارة المرحلة الانتقالية، وتعمل الآن على الإجهاز على مطالب الثورة بالكامل، باستبدال المصالحة بين النظام والمعارضة بالحكم الانتقالي التمثيلي الذي ورد في قرار مجلس الأمن 2254، وذلك عبر تنويع المقاربات والمداخل (أستانة، حميميم، والمصالحات المناطقية) لاستنزاف الخيارات

وإسقاطها واحداً واحداً لصالح خياراتها الوحيدة: بقاء النظام، وتوزير طامحين من المعارضة، ترکز الولايات المتحدة على مسار جنيف وتحقيق انتقال سياسي يحقق تطلعات الشعب السوري، عبر تجديد الدعوة إلى إنهاء "حكم الأسد وعائلته"، كما صرحت وزیر الخارجية الأميركي، ریکس تیلرسون، وربط المساهمة بإعادة إعمار بتحقيق الانتقال السياسي (أطلقت واشنطن ولندن وباريس، ردأ على تصريحات موسكو حول إعادة إعمار سوريا، إعلانات بالطبع لإعادة إعمار الرقة)، ورفض أي حضور لإيران وحلفائها في سوريا، والعمل على تحقيق ذلك على عدة أصعدة: السيطرة على مساحات شاسعة شرق سوريا فيها النفط والغاز والمياه والكهرباء والإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية، الدعوة إلى خروج المليشيات الإيرانية من العراق، مدخلاً لقطع خطوط إيران باتجاه سوريا، العمل على شل قدراتها وقدرات مليشياتها بفرض حزمة عقوبات جديدة على الحرس الثوري وحزب الله. فالغرض من تجديد الدعوة إلى إنهاء حكم الأسد والتمسك بمسار جنيف وضع العصي في عجلات المبادرات الروسية التي تسعى إلى تمرير حل يستجيب لمصالحها. ما يعني اتساع الهوة بين التوجهات الأميركية والروسية، واستبعاد تفاصیل أمیرکی روسي، قبل إضعاف موقف موسكو عبر رفض الاقتراحات الروسية للتعاون، وعرقلة حركة الجيش السوري وحلفائه في مناطق محددة، وطرح اقتراحات بديلة لتلك الروسية. موقف لخصه الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، في بيانه بشأن تحرير الرقة من "داعش"، إذ قال إن حملة بلاده ضد "داعش" ستدخل قريباً مرحلة جديدة، تدعى فيها واشنطن قوات الأمن المحلية، وتنتهي تصعيد العنف عبر سوريا، وتعزز الظروف الملائمة لـ"إحلال سلام دائم"، "ومن ثم لا يمكن للإرهابيين العودة إلى تهديد أمننا المشترك مرة أخرى، معاً، أي مع حلفائنا وشركائنا، سندعم المفاوضات الدبلوماسية التي تنهي العنف، وتسمح للاجئين بالعودة بسلام إلى ديارهم، وتؤدي إلى تحول سياسي يحترم إرادة الشعب السوري".

إقليمياً، تحرّك إيران على عدة محاور، أولها العمل على استمرار الصراع لتحقيق خياراتها بالنصر الكامل عبر سحق المعارضة، برب ذلك في أثناء زيارة رئيس الأركان، محمد باقری، إلى سوريا بتوجيهه بشن هجوم منسق في مثلث حلب وإدلب حماة، ومواصلة قصف قوات النظام والمليشيات الإيرانية لمناطق خاضعة للمعارضة، على الرغم من دخولها في اتفاقات خفض التوتر، ناهيك عن محاصرة تلك المناطق (الغوطة الشرقية والقلمون الشرقي خصوصاً) ومنع دخول المواد الغذائية والأدوية إليها، وثانيها العمل على ملء الفراغ الذي ينجم عن هزيمة "داعش"، خصوصاً في شرق سوريا، لتأمين تواصل جغرافي بين قواتها وميليشياتها في سوريا والعراق، بالإضافة إلى تشكيل مليشيات مذهبية في كل المناطق التي سيطرت عليها، لتأمين أدوات الدفاع وحماية المصالح.

تركيا تعمل، هي الأخرى، على تكريس دورها، وتكثير حصتها من خلال الالتحام بالموقف الروسي، وتفعيله وترويجه. نقل مصدر معارض حضر اجتماعاً عن نائب مستشار وزير الخارجية التركي، سادات أونال، مع وفد الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية، دعوته إلى التعاطي الإيجابي مع مؤتمر الشعوب السورية في قاعدة حميميم، وتوظيفها التعاون والتنسيق المشترك مع روسيا، لتحقيق هدفها في محاصرة التحرك الكردي في سوريا. إسرائيل التي واصلت قصف ما تعتبره تهديداً لأمنها، إن باستهداف مرابض المدفعية والدبابات، أو بقصف قوافل الشاحنات التي تقول إنها تنقل أسلحة إلى حزب الله في لبنان، أو بقصف ما تقول إنه مصنع إيراني لإنتاج الصواريخ، تهدّد بمواصلة القصف ما لم تُلبّ طلباتها، بإبعاد المليشيات الإيرانية وحزب الله عن حدودها، وما لم يُنهَا دور إيران في سوريا، ثمّة عامل قد يدفعها إلى شن حرب في سوريا ولبنان: إطاحة المصالحة الفلسطينية وتجنب ما سيحمله مشروع ترامب لتسوية إسرائيلية – فلسطينية من مطالب ويفرضه من "تنازلات".

تحرّكت السعودية، على خلفية مواجهة التمدد الإيراني، وانعكاساته على أمنها الوطني، على مستوىين. أول بالانفتاح على العراق والشخصيات والأحزاب الشيعية العراقية، بتشكيل لجنة تنسيق عليها، وعودة رحلات الخطوط السعودية إلى المطارات العراقية، وفتح قنصلية سعودية في النجف. وثان بتبني الموقف الأميركي في سوريا، عبر المشاركة في إعادة إعمار الرقة، على الرغم من سيطرة قوات سوريا الديمقراطية عليها، موقف ينطوي على تغطية للحضور الكردي في مدينة عربية، وهذا على الضد من موقفها من الكرد في إقليم كردستان، حيث تبنت موقف الحكومة العراقية من الاستفتاء، ورحب بسيطرة قوات الحكومة على محافظة كركوك، وعلى الضغط على تركيا، باحتلال موطئ قدم على حدودها مع سوريا.

النظام السوري، وفي تطابق واضح مع الموقف الإيراني، تابع قصف المناطق المشمولة بخوض التصعيد، على الرغم من اتهامه من لجنة التحقيق الدولية باستخدام غاز السارين في خان شيخون، ومطالبات بمعاقبته باستخدام البند السابع لميثاق الأمم المتحدة. وجدد حديثه عن استعادة السيطرة على كل الأراضي السورية، وركز بشكل خاص على محافظة إدلب والرقة، فقد اعتبر أن مدينة الرقة التي تمكّنت قوات سوريا الديمقراطية من طرد تنظيم داعش منها قبل أسبوعين، ما زالت محتلة ما دام الجيش السوري لم يدخلها بعد. ونقلت وسائل إعلامية نبأ عرضه على حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي حكماً ذاتياً في مقابل تسليمه الرقة والمناطق العربية الأخرى. هنا كان لافتاً تصريح رئيس منصة موسكو ضد الفيدرالية في سوريا، قدرى جميل، في موقف يتعارض مع موقف موسكو، اعتبر وسيلةً للضغط على حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي، للموافقة على عرض النظام، وتسليميه الرقة.

المصادر:

العربي الجديد